

ديوان

المغربيين

من شعر

صالح الدين القوصي

(الجزء الرابع)

الطبعة الأولى

غرة المحرم ١٤٢١هـ - أبريل ٢٠٠٠م

وقف لله تعالى لا يباع

(١)

الحديث

المَدِيثُ

بِسْمِ اللَّهِ مَا يَبْدُو
مِنَ الْأَقْوَالِ .. وَالْقَصْدُ
وَوَجْهُ اللَّهِ لِي أَرَى
وَجَلَ ثَنَاؤُهُ .. الصَّمَدُ
تَبَارَكَ رَبَّنَا .. نُورًا
وَقَدَّسَ ذَاتَهُ الْأَحَدُ
فَلَا شَرِيكَ لَهُ وَلَا مِثْلُ
وَلَا زَوْجٌ وَلَا وَكَلْدُ

عَا عَن كُلِّ مَفْهُومٍ
وَجَلَّ جَلَالُهُ الْفَرْدُ
لَهُ أَسْلَمْتُهُ كُؤَى
فَصَرْتُ بِفَضْلِهِ الْعَبْدُ
فَعَلَّمَنِي .. وَزَكَّانِي
وَوَطَّهَرَ قَلْبِي .. الْعَهْدُ
فَلَسْتُ سِوَاهُ مُرْتَجِيًّا
وَمَا بِالْغَيْرِ أَعْتَدُ
وَلَا إِسْمًا .. وَلَا صِفَةً
فَكُلُّ سِوَى لَهُ سَدُّ
فَنُورُ الذَّاتِ .. مُحْرَابِي
وَنُورُ الذَّاتِ لِي قَصْدُ

وما للنور حُجَابٌ
ولا قُرْبٌ ولا بَعْدُ
فما بالذات غيرُ رضا
فلا هجرٌ .. ولا صدُّ
ولكنْ خشيةَ الجبار
فيها القتلُ ... والفقدُ !!!
وَسِرُّ اللّٰه في الرحمن
فيه القربُ والسعدُ
فعند جمالِ مولانا
يضيعُ الخمرُ والشهدُ
تباركُ ربُّنا قُدْساً
وَجَلَّ الواحدُ الصمدُ

وَأَلْفُ صَلَاةٍ مَوْلَانَا
بِطِيبٍ .. رِيحُهُ الْوَرْدُ
تَفُوقُ الْكُلَّ بِالْأَنْوَارِ
فَوْقَ قِيَاسِ مَنْ عَدَّوْا
وَإِكْلِيلٌ مِّنَ الصَّلَوَاتِ
فِيهِ الطَّيِّبُ وَالرَّندُ
عَلَى الْهَادِي .. عَسَى يَرْضَى
وَيُنَآئِي الْهَجْرُ وَالصَّدُّ
وَفِي الصَّلَوَاتِ مَفْتَرَجٌ
وَفِيهَا النُّورُ وَالْمَدَدُ
وَكَلُّ "مُحَمَّدٍ" نُورٌ
وَكَلُّ "مُحَمَّدٍ" سَعْدٌ ..

فيا عِزِّي به حِبًّا
ولو قد طال بي وَجْدُ
ويا سعدى برفقته
ومهما زاد بي سُهْدُ
فإنَّ "محمدًا" للروح
رَوْحًا طِيبُهُ النَّدُّ
عليه صلاة مولانا
بطيبٍ ... ريحه الوردُ

"رسولَ اللَّهِ" .. أدركنى
فليس سواك لى سندُ

فقد جاوزتُ حدَّ العقلِ
حتى جاءني الفقدُ !!
أعيش ببرزخٍ فيه
ومراتي هي الحدُّ
وكلُّ الكون مرآتي
وفيها الفقدُ والوجدُ
فما أدري له .. أم لي
يكون القولُ .. والردُّ !!
فأين الحقُّ في الأكوان
أين السرُّ .. والجدُّ !!
وأين أنا !! وأين هو !!
تري أم ضمَّني لحدُّ !!!

عَرَجْتُ لِقُدْسِهِ حَبْوًا
وكان العشق لى مهْدُ
سَهَارَى كَانَتْ الْعِشَاقِ
حَتَّى الْفَجْرِ مَا رَقَدُوا
تَنَاجَوْا بَيْنَهُمْ عِشْقًا
وَبَعْدَ الْفَجْرِ .. مَا صَمَدُوا !!
سُكَارَى هُمْ .. وَلَكِنِّي
أَرْوَحُ .. وَبَيْنَهُمْ أَغْدُو
أُنَادِيهِمْ : أَيَا عِشَاقِ
لَكِنْ لِيَتَهُمْ رَدُّوا
نَظَرْتُ .. فَلِمَ أَجِدُ أَحَدًا
وَجَسْمِي صَارَ يَرْتَعِدُ

فصرت .. كماردٍ .. أخطو
وطار الروح والجسدُ !!
أَنْقَبُ عَنْهُ فِي الْأَكْوَانِ
مفقودا .. ولا أجِدُ !!

وإذُ بالنورِ يشرقُ لى
كبدِرى فى الدُّجَى يبدو
فَقُمْتُ مُسَبِّحًا رَبِّي
وأعضائي له شهدوا
وطار القلبُ من فرحٍ
وخالطَ سهوَه العَمْدُ

أَتَانِي .. زَائِرِي كَرَمًا
وَمِنْهُ الْجُودُ .. وَالرِّفْدُ
أَصَخْتُ السَّمْعَ مُتَشِيًّا
بصوت ملائِكٍ تشدو
فَلَا وَاللَّهِ مِنْ نَعَمٍ
تُضَاهِيهِ .. إِذَا عَدُّوا
فَلَا كَأْسٌ وَلَا خَمْرٌ
وَلَا سَكْرٌ لَهُ نِدٌّ
وَمَا الْأَذَانُ تَسْمَعُهُ
بِلِ الْهَامَاتِ .. وَالْقَدُّ
وَلَا ظِلٌّ لَهُ عِنْدِي
وَلَا صَوْرٌ لَهُ تَبْدُو

سجدتُ وقلتُ : يَا رَبَّاهُ
قال : وَأَنْتِ لِي عَبْدٌ
وقلتُ : تَبَارَكَ الرَّحْمَنُ
مَا قَدَرُوكَ يَا صَمْدُ!!
فقال : وَإِنِّي الْقَهَّارُ
وَالجَبَّارُ .. وَالسَّانِدُ ..
فقلتُ : وَعَزَّ مِنْكَ الْجَاهُ
قال : وَبُورِكَ الْعَهْدُ ..
فقلتُ : إِلَيْكَ قَدْ أَسْلَمْتُ
قال : وَفازَ مَنْ عَبَدُوا ..
وذابت رُوْحَهُمْ عَشْقاً
وطال الصبرُ .. وَالوَعْدُ

تَفَجَّرَ قَلْبُهُمْ وَلَهَا

فما نزلوا .. وما صدوا !!

حيارى هم .. كمسكين

تقرب .. ثم يبتعد

فشوقهم لهم قرب

وخشيتهم هي البعد

وفي الحالين لا حول

لهم أو حيلة تبدو !!

فَسَحَّتْ عَيْنُهُمْ دَمْعًا

فما ناموا .. ولا رقدوا

وما يدرون كم فضلى

عظيم .. إن صفا العبد ...

هم الأختيارُ عندي ليس
يبلغ فضلهم نِدُّ

وقلت : أحبكم مولاى
قال : محبتى السعدُ
ومنى الحبُّ .. ثمَّ رضاً
ومئى الحفظُ .. والودُّ
لأحبابى ... فقمُ شكراً
لى التمجيدُ والحمدُ

وقلتُ : أراك !! قال : نعم
فقلت : متى لى الوعدُ !!

فقال : فَوَحَّدَ الْخَلَائِقَ

يفنى الغيرُ والِضِدُّ

سألتُ وكيف!! قال افتحْ

عيونك .. يُرْفَعُ الرَّمْدُ

بنور بصيرة .. فاشهدْ

بتوحيدي لكم مَدَدُ

فإنْ وَحَّدْتَ .. سوف ترى

وتدخُلُ ضمن مَنْ شهدوا

فقلتُ : شهدتُ يامولاي

أَنَّكَ واحدٌ .. أَحَدُ

وأنت الحىُّ .. كلُّ سِوَى
- وحقك - غيركم بَدَدُ

فلست أرى سوى الرحمن
والأكوانُ لا تعدُّو
ظلالاً .. أو كفقاعاتِ
ماءٍ .. شابهُ الزَبَدُ

فقال : الكونُ عَيْنُ فَنَّا
فخاب السعىُّ والقصد !!
هو الأفعالُ .. والأسما
وآثارُ لها تبدو

وَكُلُّ صِفَاتِنَا حُجَجٌ
كَمُزْنٍ سَاقَهَا رَعْدٌ
وَلَيْسَ الْمَاءُ مِنْ رَعْدٍ
وَكُلُّ سَحَابَةٍ وَفْدٌ
وَكُلُّ سَمَائِنَا سَقْفٌ
وَلَيْسَ لِسَقْفِنَا عُمْدٌ ...

وَمَا هَذَا سِوَى أَثَرٍ
لِرَحْمَةِ أَمْرِنَا تَعْدُو
وَسُبْحَانِي .. الْخَفِيِّ أَنَا
وَإِنِّي ظَاهِرٌ صَمَدٌ

فقلتُ : وكيف يكونُ
لى لقياءَ يا فردُ!!
فقال مُحدّثى : فانظرُ
لديك الروح والجسدُ
لك الأضلاعُ .. والأعما
ء والعضلاتُ والزندُ
لك الأذان .. والأسما
ع والأقدام واليدُ
ترانى فيهمُ قبضا
وإن فيهمُ سرى مدُ
هُمُ العلماءُ بى أزلا
هُمُ الأسبابُ والجندُ

هُمُ الْأَشْهَادُ يَوْمَ الْخَلْقِ
أَنْتَى وَاحِدٌ صَمْدٌ
وَيَوْمَ الْبَعْثِ سَوْفَ تَرَى
وَنَ كَيْفَ عَلَيْكُمْ شَهِدُوا

وَأَمَّا السَّرُّ عِنْدَ الرُّوحِ
هَذَا أَمْرُهُ الْجَدُّ
فَطُفُّ بِالرُّوحِ حَيْثُ تُرَى
فَتَدْخُلُ حِزْبَ مَنْ وَرَدُوا
أَنَا الْفَعَّالُ فِيكَ أَفْهَمُ
وَعِنْدِي الْحَلُّ وَالْعَقْدُ

بباطنكم ترانى فيك
إن يسموبك الجهد
وظاهرکم أحرکهُ
إلى قدر .. ولا بُد
فكيف ترى !! وأين ترى !!
وإني فيك .. لا بُعد !!!

وقلبك فيك .. مرآتى
ولا يخفى بها نقد
فمرآة بها نورى
ومرآة بها حقد !!

وكلُّ الكونِ في المرآةِ
لا حدٌّ .. ولا بُعدٌ

فكيف تريدُ تلقاني
وداخلُ قلبك الفرْدُ !!!

فإني فيك يا عبي
وفيك الجذبُ والشدُّ

ولكن .. لا يرى أعمى
ولا عين بها رَمَدٌ

أنا الباقي .. أنا الفعَّالُ
إنني الواحد الأحدُ

وفيكَ كَلامنا معنَى
وَكُلُّ كَلامكم رُدُّ !!

فإِنِّي الذَّاكِرُ المذکور
إِنِّي الناصر الصمدُ

وَكُلُّ حَدِيثكم مِنَّا
فمِنَّا القولُ والرُدُّ !!

وفيه الحِكمةُ العلیا
وفيه النورُ .. والرُّشدُ ..

وفيكَ المَلِكُ .. والمَلَكوتُ
والنیرانُ والبَرْدُ

وسوفَ تری .. وتسمعُ ما
یقالُ كأنَّهُ الرَعْدُ !!

رَكَعْتُ .. فَقَالَ : مِفْتَاحِي
هُوَ التَّكْبِيرُ وَالْحَمْدُ
بِسْمِ اللَّهِ .. لَا " وَاَحُّ
وَلَا زَهَّجٌ وَلَا بَطَدٌ"
بِسْمِ اللَّهِ .. صَارَ إِلَيْكَ
كُلُّ الْأَمْرِ يَرْتَدُّ
فَلَا تَشْطَحْ .. وَكُنِ فَهَمًّا
فَخَيْرُ خَلَائِقِي .. الْعَبْدُ
وَمَنْ بِالْحُبِّ يَلْقَانَا
فَلَا هَمٌّ .. وَلَا نَكْدُ
وَكُلُّ سِوَى لَنَا غَمٌّ
وَكُلُّ سِوَى لَنَا .. كَبَدُ

وَكُنْ مُتَأَدِّبًا مَعَنَا
فَلَا رَفْضٌ .. وَلَا نَقْدُ
فَقَدْ دَبَّرْتُ أَكْوَانِي
وَحَكَمْتَنَا هِيَ الْحَدُّ
وَإِنَّ لِكُلِّ مُعْتَرِضٍ
عَلَيْنَا الْغَمُّ وَالْكَامِدُ
وَطَوْبِي لِلَّذِي يَرْضَى
فَإِنَّ رِضَاءَهُ السَّعْدُ
وَمَنْ يُسَلِّمَ لَنَا يَسَلِّمْ
وَلِي مِنْ رُوحِهِ الْحَمْدُ
لَهُ أَمْنِي وَرِضْوَانِي
وَمَا لِدَعَائِهِ رَدُّ

وقلت لسيدى : زدنى
فقال : إِذَا لَكَ الزُّبْدُ ..
دع الدنيا .. مع الأخرى
وخيرُ دوا لك الزهدُ ..
وَنَقَّ القلبُ حتى لا
يُدْنِسُهُ بِكُمْ حَسَدُ
وَوَجَّهْ وجهكم للذات
مَهْمَا شَفَّكَ الْوَجْدُ
غريبا عِشْ .. أُوَانِسْكُمْ
وَأُنْسِيْ كُلَّهُ الرِّغْدُ
كِتَابِي .. نُورُهُ سِرُّ
وَمَنْ يَتْلُو .. لَهُ يَرِدُ

وكلُّ حروفه كنزٌ
لِمَنْ زكَّاهُمْ المَدَدُ
عليك به .. وَقُمْ واركَعْ
وكنْ في قلب مَنْ سجدوا

وَأَمَّا سِرُّ أَنْوَارِي
وَبَابُ الْقُدْسِ .. وَالْمَجْدُ
وَخَيْرُ الْخَلْقِ قَاطِبَةً
وَأَكْمَلُ مَنْ بِهِ وَلِدُوا
حَبِيبِي "أَحْمَدُ" .. عَبْدِي
وَلَيْسَ كَمِثْلِهِ .. عَبْدُ !!

عليك به .. فسرى فيه
والأنوار .. والرشد
ومن لم ينتهل منه
فليس له بنا عهد ..
فصل في حبه قلباً
فقلب "محمد" غمد
وكن في روحه طفلاً
فروح "محمد" مهد
ودق من حبه دوماً
فحب "محمد" شهد
عليه صلاتنا أبداً
بطيب ريحة الورد

(٢٠٣)

”رسولَ الله“ جئتُ إليك
أنتَ الأصلُ و” الجَدُّ “
وأنتَ الخَيْرُ .. أنتَ النورُ
أنتَ العونُ والسَدُّ
رجوتك سيدي وَصَلَا
وَنِعَمَ الوصلُ والقصدُ
فعلَّمَنِي ”رسولَ الله“
حُبَّ الله .. كي أغدو
لنورِ الله مَرآة
بها الأسرارُ والمَدَدُ
فأشهدُ أنه فردٌ
وأشهدُ أنه أحدٌ

وجلَّ جلال مولانا
وعزَّ القدس والمجدُ
عليك صلاته أبدا
بطيب رِيحه الوردُ
وألف تحية منَّا
بها الريحان والرندُ



ربيع الثاني ١٤٢٠هـ - أغسطس ١٩٩٩م

